إنتهت الأندلس ما بين 422 هـ ـ 484 هـ / 1031 م ـ 1091 م من إلغاء الخلافة و قيام ما يعرف بدول الطوائف، و التي كانت عبارة عن إمارات متصارعة فيما بينها، إنتهت بإضعاف دولة الإسلام، و نتيجة لضعفهم أمام الفوسو السادس ملك قشتالة بعد بالإستيلاء على طليطة 478 م ـ 1005 م، إستنجد أهل الأندلس بأمير المرابطين يوسف بن تاشفين الذي هزم الفويو في معركة الزلاقة 489 ـ 1086 م.

بعد فترة إستطاع خلع ملوك الطوائف ليحكم المرابطين الأندلس 484 ـ 541 هـ 1091 ـ 1147 م، لكنهم لم يصمدوا أمام ألفوسو، بالإضافة إلى الثورة التي قام بها بن تومرت زعيم الموصيين، و بمصرع يوسف بن تاشفين إنهارت دولة المرابطين لتخلفها دولة الموحدين 541 ـ 645 هـ / 1147 ـ 1257 م، الذين أحرزوا نصرا على أعدائهم المسيحيين، لكن الهزيمة حاقت ..... بهم في معركة العقاب 609 هـ ـ 1313 م، التي بعدها تهاوت الحواضر الأندلسية واحدة بعد أخرى، و لم يبقى للمسلمين في الأندلس سوى غرناطة التي كانت تحت حكم بين الأحمر 645 ـ 897 هـ / 1247 ـ 1442 م الذي دام نحو قرنين و نصف لكن النزاعات الداخلية و الحملات الصليبية، و تقاعس البلاد الإسلامية المجاورة عن نجدتهم، كل ذلك أدّى إلى إنهيار دولتهم، فسقطت غرناطة في يد المكيين الكاثوليكيين 897 هـ ـ 1492 م.

أصبح مسلمو الأندلس الذي دُعوا بـ " الموريسكيين" خاضعين للسلطة المسيحية التي تعقبتهم بكل ضروب الإضطهاد حتى إنتهى الأمر بطرد مئات الآلاف إلى خارج إسبانيا بين 1018ـ 1023 هـ / 1609 ـ 1614م.

## 1/ ملوك الطوائف

لقد كان لثورة قرطبة Cordoba الأثر الكبير في تغيير الخارطة السياسية، فعلى إثرها سقطت الدولة العامرية[1] عام 399هـ، 1006م، و إنتشرت بذلك الفوضى و الفتن في قرطبة، ثمّ في باقي روبوع الأندلس، و عاد الحكم إلى البيت المرواني الأموي الذي إضطلع به حكام ضعاف[2] ، إنتهت بذلك الدولة الأموية فأصدر أهل قرطبة Cordoba بيانا أعلنوا فيه زوال الخلافة عام 422هـ، 1031م، لتدخل بذلك الأندلس في فترة من أصعب فترات التاريخ قاطبة تسمى بعصر ملوك الطوائف[3]، الذي تكون من ثلاثة فئات " بربر، صقالبة، أندلسيون" تقاسمت فيما بينها أشلاء الخلافة الممزقة، حيث ساد الصنهاجيون على الساحل الجنوبي من الواد الكبير إلى غرناطة و ساحلها " بنو زيري" و " بنو هود" في سرقسطة Zargosa و " بنو جهور" بقرطبة Cordoba، و دولة " بني ذي النون" في طليطلة Toledo و " بنو حمود" حكموا مالقة Malga و الجزيرة الخضراء، و " بنو الأفصى" ببطليموس Badajo ، رغم أنّ هذا العصر كُوِّنَ بدويلات هزيلة و ضعيفة بعيدة عن دعائم الوحدة و الإعتصام، إلاّ أنّه شهد إزدهار في الأدب و الفن و الشعر، خاصة مدينة إشبيلية Sevilla كانت أكثر البلاطات تألقا في هذا الجانب.[4]

---

1 ــ **الدولة العامرية:** نسبة إلى محمد بن أبي عامر، الذي إنقلب على الصقالية فعزل رؤسائهم و تواطأ مع القادة، و صاحب المدينة، و قائد الجند، للقبض على ناصية السلطان، و بالفعل وصل بعد سنة إلى الحكم، و قد كان خطرا على العرش، أسرته ترجع إلى أصل يمني و كان أبوه فقيها ذا مكانة، درس في اليمن ثم في قرطبة، و قد إتّخذ لقب الحاجب المنصور، حكم 27 سنة 392 هـ، 1002م. للمزيد أنظر: **إبن بسام أبو الحسن على بن سام الشربيني،** الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس ، دار الثقافة، بيروت، 1979، ص 602.

2 ــ كان آخرهم هشام الثالث المعتمد بالله، و الذي خُلع من منصبه في نهاية ثورة قرطبة. للمزيد أنظر: نفسه، ص ص 602، 603.

3 ــ **عصر الملوك و الطوائف:** إمتدّ من عام 422هـ ــ484هـ، 1031 م ــ1091م. للمزيد إرجع: **عبد الرحمان على الحجي،** المرجع السابق، ص 347.

4 ــ **منتمغري وات،** في تاريخ إسبانيا الإسلامية، ترجمة: محمد رضا المصري، ط2، د.د.ن، بيروت، 1998، ص 103.

كما إستفحل الخلاف و التنافس بين هؤلاء الملوك، ممّا فتح المجال للإمارات النصرانية[1] الموحدة تحت إرشادات البابا لغزوها الواحدة تلو الأخرى، هذه الإمارات التي كانت في بداية الفتح في المناطق الشمالية من الإندلس و إستمرت في إستغلال أي فرصة لتوسيع نفوذها، و تأمين قواتها.[2]

و قد ظل الإتجاهان المتناقضان في التنامي و الإزدياد كل واحد في جهته، فقوة النصارى في تعاظم و قوة ملوك الطوائف في تضاؤل و تشرذم أدّى هذا إلى الهيمنة عليهم جيش أجبر المسلمون على دفع الجزية للنصارى [3]، إلاّ أن المملكة الإسبانية مرت بهزيمة عنيفة بعد وفاة صانشوا الكبير Sancho [4]، فبعد وفاته دخل أبناءه في صراع على المُلك؛ حيث تمكن فرديناند Ferdinand من الإستيلاء على الحكم و الإنتصار على إخوته، و قد تمكن أيضا من إخضاع ملوك إشبيلية Sevilla، طليطلة Toledo، بطليموس Badajos و دفعوا له الإتاوة.

1 ــ من بينها: ليون، قشتالة، أراغونة، نافارة. للمزيد أنظر: محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق و المغرب، ط2، دار العرب الإسلامي، 1982، ص ص 114، 115.

2 ــ **بن الأبار**، الحلة السيراء، تحق: حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، مصر، 1985، ج2، ص 37.

3 ــ **إبن عذارى عبد الواحد المراكشي**، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني و آخرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985، ج3، ص ص 279، 280.

4 ــ **صانشوا الكبير:** هو ملك إسبانيا 391 هـ ــ 426 هـ، 1000م ــ 1035م، الذي قسّم مملكته بين أبنائه قبل وفاته تفاديا للصراعات على الملك، حيث حصل إبنه الأكبر و هو غرسيه على نافارا، و فرديناند على قشتالة، و راميروا على أراغونة، و منح لولده الرابع غوصتا فو على منطقة سوبراب. أنظر:

-. Cirourt A, Histoire des Mores Mudejares et des Morique, ou des Arabes d'Espagne Sous la Domination des Chrétiens, T1, Paris, 1846, PP 87,88.

كما تحالف مع ملك أراغونة ممكلة نافارة على محاربة المسلمين و النيل منهم و بعد وفاته خلفه إبنه ألفونسوا السادس Alfonso V[1]، الذي لم يكتف بإخضاع ملوك الطوائف لنفوذه، و إرغامهم على دفع الجزية، بل صمّم على إسترداد الأندلس على نحو شامل و طرد المسلمين نهائيا من شبه الجزيرة الإيبيرية مستغلا حالة الطوائف الذين تناسوا الخطر النصراني المحدق بهم من كل ناحية، ممّا أثّر على الأوضاع الإقتصادية في البلاد بصفة خاصة.[2]

في ظل هذا الخضوع و هذه الإستكانة بعد أن إطمأن ألفونسوا إلى ضعف المسلمين بعث إلى كل قاعدة من قواعد الأندلس جيشاً لحصارها و محاولة الإستيلاء عليها، و قد بدأ بطليطلة[3] Toledo عام 478 هـ، 1085م، حيث إستولى عليها بعد حصار دام سبع سنوات، و قد نشر خلالها الخراب و الدمار.[4]

لتكون هذه بداية مرحلة خطيرة في تاريخ الإسلام ببلاد الأندلس، كما كان له تأثير سيء على مسلمي الأندلس، و بدأ أمراء الطوائف يدركون مدى فداحة الخطر المحيط بهم في نفس الوقت الذي كانوا يحسّون بضعفهم عن مواجهته.[5]

كان هذا أحد أسباب السياسات المتخاذلة التي إتّبعها ملوك الطوائف، فقد شجّع ألفونسوا Alfonso على إقتطاع أراضي المسلمين، فهدّد سرقسطة Zaragosa

1 **ألفونسوا السادس:** 458 هـ ــ 502هـ، 1065 م ــ 1109 م، هو إبن فرديناند الأول، كان ملك على ليون دخل مع إخوته مثل والده في صراع على الملك خاصة أخوه صانشوا، و بمقتل هذا الأخير يقال أنّ القاتل أخته أوراكه التي كانت تميل إلى ألفونسوا السادس، و بعد هذا الحدث إستعاد عرشه الذي سلب منه، و ورث مملكة قشتالة. للمزيد أنظر:
-. Conde M J, Histoire de la domination des Arabes et des Maures en Espange et en Portugal depuis L'Invasion Définitive, Paris, 1825, T2, P 188.

2 ــ **إبن الأثير**، الكامل في التاريخ، د.ط، دار البصائر، بيروت، 1979، ج2، ص 62.

3 ــ أنظر الملحق رقم:

4 ــ **محمد عبد الهادي شعيرة**، المرابطون تاريخهم السياسي، د.ط، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، 1949، ص 108.

5 ــ **كمال السيد أبو مصطفى**، محاظرات في تاريخ المغرب الإسلامي و حضارته " المغرب ــ الأندلس"، د.ط، د.د.ن، مصر، 2008، ص 260.

و إشبيلية Sevilla و بطليموس Badajos؛ حيث أخذ قُوّاته تجتاح أراضي المسلمين و تخربها، و أدرك بذلك بن عباد[1] أنّه أشد ملوك الطوائف مسؤولية عمّا حدث، فكان بمقدوره الدفاع عن طليطلة Toledo و مد يد العون لها، و لكنه لم يفعل لتقيده بمعاهدته المخزية مع ألفونسوا Alfonso، و التي بمقتضاها يتعهد المعتمد بأن يؤدي الجزية لملك قشتالة، و أن يطلق يده في أعماله العسكرية ضد طليطلة Toledo دون أن يتدحل لمساعدتها، و لما نقضت طليطلة Toledo بدأ ألفونسوا يشتدّ لمطالبه المالية و يشتدّ في معاملة المعتمد[2]، و يتعمد إهانته، و أمعن في إذلاله،[3] و كاتبه بأن يسلم إليه بلاده. مما دفع بإبن عباد صاحب إشبيلية Sevilla إلى طلب المساعدة من المرابطين.[4]

**2/ المرابطين**

نشأت دولة المرابطين في جنوب غرب المغرب الأقصى في قبيلة لمتونة من صنهاجة البربرية في النصف الأول من القرن 5 هـ، على يد يحي بن إبراهيم الجزولي و عظم أمر الدولة، و لمّا آل أمرها إلى السلطان يوسف بن تاشفين [5]، إزدادت عظمة و إتساعًا، و كانت دعوة المرابطين قائمة على محاربة الظلم و الفساد و الطغيان.

أمّا الضفة الشمالية من البحر المتوسط، حيث الأندلس كان الوضع سيئا عكس الوضع في المغرب، حيث لم تكن قوى ملوك الطوائف تكفي لدفع خطر ألفونسو

---

1 ــ **المعتمد بن عباد:** هو أحد خلفاء ملوك الطوائف، عرف بالقسوة و يقال أنّه كان يحتفظ بجماجم أعدائه في خزانة بجوف قصره. للمزيد أنظر: **إبن الأبار**، الحلة اليسراء، مصدر سابق، ص 50.

2 ــ **محمد لعروسي**، المرجع السابق، ص ص 220، 221.

3 ــ أرسل ألفونسوا إلى بن عباد رسالة يطلب فيها السماح لزوجته بالوضع في جامع قرطبة وفق تعليمات القسيس، و قد أثارت هذه الرسالة بن عباد حتى قيل أنّه قتل رسل الملك القشتالي، و صلبهم على جدران قرطبة.
أنظر: **محمد لعروسي المطوي**، الحروب الصليبية، المرجع السابق، ص 221.

4 ــ **ج. س. كولان**، الأندلس، تر: إبراهيم خورشيد و آخرون، ط1، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، بيروت، القاهرة، 1980، ص 131.

5 ــ يوسف بن تاشفين بن براهيم اللمتوني الصنهاجي ت 500 هـ أحد أمراء الدولة المرابطية. أنظر: **حسين مؤنس**، موسوعة تاريخ الأندلس، ط1، المكتبة الثقافية الدينية، مصر، 1992، ج2، ص 40.

Alfonoso و حماية أنفسهم من هجماته، [1] و كان بصيص الأمل الوحيد للخلاص من ظلمة الخيبة و الفشل و كشف الغمة الحالكة و هو إلتماس النجدة من المرابطين [2]، و رأوا فيهم الأمل الوحيد لنجاتهم على أنهم لم يكادوا يسمعوا هذا الإقتراح حتى عارضوه و خشوا عواقبه الوخيمة لأنّهم كانوا يعرفون من وحشية العرب ما ينسيهم بسالتهم و شجاعتهم و ليسلبوا أموالهم وينهبوا دورهم قبل ان يفكروا في مناواة المسحيين وقتالهم و ثمة عدلوا عن إنقاذ هذا الرأي الخاطئ، و إتجه أملهم و رجائهم إلى المرابطين.[3]

في الوقت الذي كان فيه ملوك الإسبان منهمكين في إحتلال المدن و القرى الإسلامية و إتحدوا على ذلك و تحالفوا، في ذلك الوقت إجتمع إبن عباد مع الأمراء الآخرين في إشبيلية Sevilla و قرطبة Cordoba، و إتفقوا على أن يرسلوا سفيرا إلى يوسف بن تاشفين يلتمسون عونه.[4]

فعبر يوسف بن تاشفين إلى الأندلس 479 هـ ـ 1086م فإستقبله إبن عباد قرب الجزيرة الخضراء[5]، و إحتفى به، و تقاطرت الجموع الإسلامية و ملوك الطوائف إلى معسكر بن تاشفين حتى إجتمع عنده جيش عظيم من الأندلسيين، زيادة على جيوشه التي أتى بها من المغرب، و إنتقل الخبر إلى ملوك النصارى، فالتقوا جميعا تحت راية ألفونسو Alfonso الذي سار إلى الجنوب قاصدا المرابطين.

---

1 ـ **محمد العربي المطوي**، الحروب الصليبية، المرجع السابق، ص 221.

2 ـ يذهب بعض المؤرخين أنّ أمراء الأندلس فكروا في بادئ الأمر بالإستنجاد بعرب إفريقية من بني هلال و بني سليم، بدلا من المرابطين إلاّ أنّهم عدلوا عن هذه الفكرة خوفا من أن يفعل العرب بالأندلس مثل ما فعلوه في إفريقية من خراب و تدمير. أنظر: إبن الأثير، الكامل في التاريخ، المصدر السابق، ص 62. أنظر أيضا: **أبو العباس الناصري**، الإستقصاء في إخبار المغرب الأقصى، تحق: جعفر الناصري، محمد الناصري، د.ط، دار الكتاب، الدار البيضاء، د.ت، ج2، ص 37.

3 ـ **دوزي**، ملوك الطوائف، تر: كامل كيلاني، ط1، مكتبة البالي الحلبي، القاهرة، 1933، ص، ص 286، 287.

4 ـ يقال أنّ إبنه حذره من أن يستولي المرابطون على حكم الأندلس فقال مقولته الشهيرة: " لأن أرعى الجمال في صحراء المغرب خير من أن أرعى الخنازير في أرض الصليبيين ". للإطلاع على تفاصيل أكثر راجع: حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 34.

5 ـ أنظر الملحق رقم:

إلتقى الفريقين في سهل الزلاقة [1] من قرب بطليموس في معركة هائلة في 12 رجب 479، 23 أكتوبر 1086[2]، ثبت فيها المسلمون و على رأسهم المعتمد الذي حارب بكل قوة، و خرج جريحا من المعركة التي إنتهت بإنتصار المسلمين، و تمكن ألفونسو Alfonso من الفرار بصعوبة مع عدد من جنده، و كاد يُقتل لولا أنّ السهم أصابه في فخذه.

لم تكن موقعة الزلاقة قاضية على ألفونسو السادسAlfonso VI ، فبعد عام من الهزيمة عاد قويا كما كان، و عاد ملوك الطوائف إلى ما كانوا عليه من تشتت و مخاصمة، فإضطر بن تاشفين إلى النزول مرة أخرى إلى الأندلس 484 هـ، 1091 م.

ما إنْ أحسّ الأندلسيون بضعف المرابطين حتى نفو عصا الطاعة في وجوههم و إندلعت نيران الثورة في كل مكان، وقد أعان ملوك الإسبان هؤلاء الثوار، خاصة بن هود[3]، الذي قام ضد المرابطين متحالفا مع مملكة قشتالة، و لم يستطع بن غانية [4] التغلب على الثوار لإنقطاع المدد عنه من المغرب الإقصى نظرا لإنشغال المرابطين بثورة

1 ــ **الزلاقة:** مدينة تقع حاليا في دولة البرتغال قرب حدودها مع إسبانيا. أنظر: **عبد الحكيم الذنون**، آفاق غرناطة، ط1، دار المعرفة، د.م، 1988، ص 28.

2 ــ كان ألفونسوا قد إستعمل حيلة لم تنطل على المسلمين، فقد بعث إلى بن تاشفين يقترح عليه أن يكون اللقاء يوم الإثنين حتى لا يتعكر صفو المسلمين و اليهود و النصارى أيام الجمعة و السبت و الأحد، لكن بن عباد تنبّه للخدعة، و حذر المرابطين من ذلك فصدقت فراسة بن عباد، فقد قرر ألفونسوا أن يكون الهجوم وقت صلاة الجمعة، إلاّ أنّ المسلمين كانوا محتاطين لذلك تبعا لتحذير بن عباد. أنظر: **محمد العروسي**، المرجع السابق، ص 222.

3 ــ **بن هود:** هو أحمد بن المؤتمر بن هود الجذامي، صاحب سرقسطة كان عميلا لألفونسوا ملك قشتالة، يحرضه ضد المسلمين، و كان يقابل ملك قشتالة يعاونه بالمال و الجند. للمزيد أنظر: **عصام الدين الفقي**، تاريخ المغرب و الأندلس، د.ط، نهضة الشرق، د.د.ن، القاهرة، د.ت، ص 260.

4 ــ **إبن غانية:** هو أبي زكريا غاز مرابطي من ميروقة، يعرف بإبن غان و هو أمير قرطبة و قائد جند المرابطين، تصد للمريدين و ألحق بهم الهزائم، حينما إبتعد إبن غانية عن قرطبة لمحاربة المريدين ثار الناس في قرطبة بقيادة القاضي إبن جعفر بن حمدين إبن غانية. للمزيد أنظر: نفسه، ص 264.

الموحدين،[1] و حتى بن غانية لما رأى خطرا الموحدين و تفوقهم على المرابطين خشي على نفسه و تحالف مع قشتالة إلى قرطبة Cordoba.[2]

**3/ الموحدين**

خاف مسلمو الأندلس من سوء المصير، فقد أصبحت حالتهم أشبه بآخر عهد ملوك الطوائف، لذلك إتجهت أنظارهم إلى بلاد المغرب؛ حيث إشتد ساعد سلطان الموحدين " عبد المؤمن بن علي"[3] فقضى على المرابطين. قد إستسلم زعماء غرب و وسط الأندلس للموحدين، و دخلوا في طاعتهم.[4]

لم يتجه سلطان المرابطين هذه المرة إلى محاربة الإسبان، و إنّما إتجه إلى إلحاق الأندلس بسلطانه، و القضاء على ملوك الطوائف الذين لم يأخذوا العبر من ما سبق فإستولى على قرطبة Cordoba، قرمونة، إشبيلية Sevilla 484 هـ، 1091 م.

من غرائب بن عباد أنّه إستنجد بألفونسو Alfonoso ضد بن تاشفين لكن لم ينفعه ذلك، إذا تغلب عليه، و أسره مع عائلته و نفاه إلى المغرب.[5]

لم يسجل المرابطين بعد إلحاق الأندلس إليهم شيئا ذا أهمية، إلاّ معركة أقليش ( 501هـ، 1108 م) التي إنتصر فيها المرابطون إنتصارا عظيما على جيوش ألفونسو

---

1 ــ **الموحدين:** إن مؤسس هذه الدولة هو محمد بن عبد الله ينسب إلى علي بن ابي طالب، و كان يقال لوالده تومرت، و بايعه الناس و لقبوه بالمهدي، و هو من أهل المغرب الأقصى، رحل إلى الأندلس لطلب العلم سنة 500 هـ، و كذلك الشام و مصر و العراق، ثمّ عاد ــ إبن تومرت ــ إلى المغرب و تبعه الكثير من البربر و بايعوه قائدًا عليهم. للمزيد أنظر: عصام الدين الفقي، المرجع السابق، ص ص 264، 265.

2 ــ **محمد العروسي**، المرجع السابق، ص 224.

3 ــ **عبد المؤمن بن علي:** هو اول خلفاء الموحدين،قام بضم مابقي من المسلمين في الاندلس الى دولته وقد بدا ذالك في وقت مبكر،كما وضع نضاما للدفاع عن الاندلس وجعل من قرطبة عاصمة له بعد أن كانت اشبيلية في ايام المرابطين. للمزيد أنظر: **حسين مؤنس**، معالم تاريخ المغرب و الأندلس، د.ط، دار الرشاد، د.م، 2004، ص 937.

4 ــ **عصام الدين الفقي**، المرجع السابق، ص 268 .

للمزيد أنظر: **عبد الحكيم الذنون**، آفاق غرناطة، المرجع السابق، ص 29

5 ــ محمد العروسي المطوي، المرجع السابق ص 224.

السادسVI Alfonso ، و لكن لم يصحب هذا الإنتصار تقدم المرابطين أو ضعف الإسبان[1]، و على الوقت الذي ألحقا فيه المرابطون بلاد الأندلس إليهم.

إندلعت نيران الحروب الصليبية بالمشرق الإسلامي خصوصا بعد أن أصبح ألفونسو Alfonso صحاب السيادة المطلقة على إسبانيا النصرانية، إذ دخلت في تصرفه مملكة عيون قشتالة و أخذ ملك أراغونة يهاجم دولة بني هود، سرقسطة و ما جاورها...، و أخذ يهدد المرابطين بالأندلس، و حاصر مدينة غرناطة و وصل إلى أقصى جنوب الأندلس دون أن يستطيع المرابطون ضده.[2]

بعد أن تمّ للموحدين القضاء على المرابطين 541 هـ بمقتل إسحاق إبراهيم بن تاشفين بن علي يوسف بن تاشفين، إتجهت أنظار عبد المؤمن بن علي إلى ضم ما بقي للمسلمين في الأندلس إلى دولته، فزحف الجيش الموحدي إلى الأندلس و إستول على الجزيرة الخضراء و طُرد المرابطين منها، و واصل الموحدون زحفهم في أراضي الأندلس حتى ضموا إلى حوزتهم معظم بلدان غرب الأندلس على الرغم من وجود بعض الثورات الرافضة لوجودهم مثل أهل إشبيلية Sevilla [3]

قد قوى أمر الموحدين حتى أصبح بإمكانهم ضم الأندلس إلى حوزتهم، مما أزعج ألفونسو السابع AlfonsoVII، لذلك تنازل على مدن الموحدين، لكن بعد وفاته عمل ألفونسو Alfonso على الإستيلاء على قرطبة Cordoba، المرية، طرطوشة، لاردة، أفراغة[4]، و تتابعت حملات النصارى على البلاد الإسلامية.

---

1 ــ كان سلطان المرابطين هو على بن تاشفين فقد مات يوسف سنة 500 ه/1102م وتولى بعده الحكم ابنه علي. **عصام الدين**، المرجع السابق، ص 273.

2 ــ **عصام الدين**، المرجع السابق، ص 230

3 ــ **عصام الفقي**،المرجع السابق ص268.

4 ــ قرطبة، المرية، طرطوشة، لاردة...هي عبارة عن مدن اسبانية سقطت في يد الاسبان في عهد المرابطين. أنظر: دوزي، المرجع السابق، ص 65.

ساءت أحوال الأندلس و تدهور الوضع السياسي بها، فلجأ الأندلسيون إلى عبد المؤمن بن علي لإنقاذ بلادهم من النصارى، فأصبح غرب و وسط الأندلس في أيدي الموحدين[1]، و تخرج موقف المرابطين في غرناطة فأرسل واليها إلى الخليفة عبد المؤمن سلّمهُ غرناطة، و بذلك إسترد الموحدون كل بلدان الثغر الأعلى.[2]

في أواخر أيام عبد المؤمن بن علي إنتهز ألفونسو Alfonso الفرصة لتوسيع ملكه على حساب المسلمين في غرب الأندلس، فإستعان بنفر من الإنجليز و الألمان و الهولنديين[3] فأغراهم و بذلك إستولى على شنقرين.[4]

هنا تنبّه الموحدون إلى ضرورة القيام بعمل حاسم في الأندلس خاصة غربها فحاول سنة 580 هـ إسترجاع شنقرين، غير أنّه توفي 580 هـ، 1184 م، خلفه يعقوب المنصور الذي فتح مدينة شال 541هـ، هزم كل معارضيه، تطلع لإنقاذ بلاد الأندلس بعد تدهور أحوال المسلمين، و أصبحت الأندلس على وشك السقوط في أيدي النصارى، و في سنة 581 هـ تولى صانشو الثاني ملك البرتغال أمر إستيلاء على بلاد غرب الأندلس و في سنة 505 هـ حشد جيشا كبيرا ضم فرقا صليبية كانت مسافرة إلى بلاد الشام و إستولى على إشبيلية Sevilla أهم ما تبقى للموحدين في غرب الأندلس من الموانئ.[5]

خرج المنصور لإستعادة الحصون، و توقف عن الحرب أربع سنوات، و عندما علم ألفونسو الثامن Alfonso VII دعا ملوك النصارى في إسبانيا إلى تشكيل جبهة

---

1 ــ أصبحت حدود الاندلس تمر في هذه الفترة شمال نهر الوادي الكبيروفي الغرب عند لشبونه،وفي الغرب عند مرسيه. مونتغمري وات، المرجع السابق، ص 235.

2 ــ **حسين مؤنس**، معالم تاريخ المغرب و الأندلس، المرجع السابق، ص 440.

3 ــ كانو في طريقهم الى المشرق –الحروب الصليبية–وقد اغراهم بالمال لمساعدته. للمزيد أنظر: **حسين مؤنس**، معالم تاريخ المغرب والاندلس،المرجع السابق ص 441.

4 ــ نفس المرجع، ص 439

5 ــ إبن عذارى **عبد الواحد المراكشي**، المعجم في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، د.د.ن، د.ت، مج3، ص 281، 282.

متحدة للتصدي للمسلمين، و إستنجد بالبابوية، فكثرت جموع النصارى و إحتشدوا في حصن يسمى الأرك و إنهزم النصارى.[1]

خلف محمد بن عبد الله الملقب بالناصر أباه 595 ــ 611هـ، 1192 ــ 1213 م ضعف أمر المسلمين بالأندلس بسبب إنشغال الخليفة الموحدي عبد الله الناصر بقمع الفتن في تونس، و كف الموحدون عن إرسال الجيوش إلى الأندلس لتعزيز مركز المسلمين شجع ذلك ألفونسو Alfonso على شن الغارات على بلاد المسلمين، لذلك رأى الخليفة إخضاع ألفونسو الثامن Alfonso VIII و محاربته، و أعدّ لذلك حملة قوية أحسن أعدادها و أمدّها بالأسلحة و العتاد، و عبرت الحملة إلى الأندلس سنة 608 هـ، 1210 م، و توافد على جيشه المجاهدون الأندلسيون من كل حدب و صوب، و أعدّ ألفونسو الثامن Alfonso VIII حملة صليبية للإنتقام من هزيمة الأرك، و طرْد المسلمين، فأنهى خلافاته مع ملكي نافارا و أراغونة، و إستنجد بالبابوية، و كوّن قوة مسيحية ضاربة تستطيع محاربة المسلمين.[2]

تحرك الناصر بجيشه الكبير سنة 608 هـ، 1211م و عسكر بجيشه على مقربة منها في سهل مليء بالتلال الصخرية القليلة الإرتفاع تسمى بالعقاب، إلتقى الناصر بالجيوش النصرانية التي إستولت على قلعة رباح، فذعر الناصر و أمر بقتل قائدها يوسف بن قادس، هنا إرتاع الأندلسيون و تفرقوا و وقعت الواقعة 609 هـ، 1212م، و كانت هذه الموقعة بداية لضعف شامل أصاب الأندلسية في إيدي النصارى.

خلف الناصر إبنه المنصور أبو يعقوب يوسف بن محمد الناصر، و تنافس أمراء البيت الموحدي حول الحكم و ثاروا ضده[3]، و ظهرت العناصر القوية تطالب بالحكم و إنتهى النزاع بالقضاء على دولة الموحدين و قيام دولة بني مرين.[4]

1 ــ **عصام الدين الفقي**، تاريخ المغرب و الأندلس، المرجع السابق، ص 273.

2 ــ نفسه، ص 275، 276.

3 ــ **بن عذارى عبد الواحد المراكشي**، البيان المغرب ....، قسم الموحدين، مصدر سابق، ص 38.

4 ــ كانت دولة الموحدين قد لعبت دورا كبيرا لتقوية بلاد المغرب حيث اجلت كارثة سقوط الاندلس،وعززت مركز المسلمين في هذه البلاد،ويعد عصرهم العصر الذهبي للفلسفة الاسلامية:بن رشد،بن طفيل...وقد تطورت الدراسات الفلسفية، وقد كان المرابطون يرفضون علوم الفلسفة في ذالك الوقت. للمزيد أنظر: **عصام الدين الفقي**، المرجع المرجع، ص 276

## 4/ ملوك بنو الأحمر و سقوط غرناطة Granada

بعد إنهيار دولة الموحدين قامت مملكة بني الأحمر " بني نصر" 635هـ 1237 م إلى غاية 897 هـ، 1492م، حيث كانت مملكة غرناطة [1] البقية الباقية، من ملك المغرب في إسبانيا بعد أن فقد العرب أملاكهم في إسبانيا و إستولى الإسبان على بلدانهم خاصة بعد سقوط بلنيسة و قرطبة Cordoba و إشبيلية Sevilla و مرسية في يد جايم الأول ـ ملك أراغونة ـ و فرديناند Ferdinand I ـ ملك قشتالة ـ ما بين 632 هـ 1238م و 658 هـ، 1260م، و لم يبقى للعرب سوى غرناطة التي قامت في ظروف متواضعة، و هذا راجع إلى ضعف أمر الموحدين بالأندلس خاصة بعد خروج قواعد الأندلس من قبضتهم إلى أيدي النصارى من جهة، و من جهة أخرى إلى أيدي بن هود و ثوار النواحي.

في هذه الأثناء ظهر من بين الزعماء أبو عبد الله محمد بن يوسف النصري المعروف بإبن الأحمر سليل بن نصر [2]، و الذي كانت بيعته سنة 635 هـ، 1237م، ملكا على غرناطة، و بوفاة بن هود زال أكبر منافس لإبن الأحمر، و للتغلب على المنافسات أعلن هذا الأخير نفسه مطيعا لفرديناند الأول Ferdinand I ملك قشتالة 1217 ـ 1252م، و دفع له إتاوة، و إستمر هذا مع إبنه ألفونسو Alfonso.[3]

إزدهرت العلوم و الفنون في غرناطة؛ حيث شيدوا قصر الحمراء و كان من العجيب أن يعيش العرب في غرناطة قرنين من الزمن أو أكثر، و العدو يحيط بهم من كل جانب، لكن بعد إتحاد مملكتي قشتالة و أراغونة بزواج فرديناند Ferdinand I من

1 ـ **غرناطة**: هي تسمية مشتقة من مصدر روماني، و هو Garnat؛ و يقصد بها الرمانة، و سميت بذلك لكونها ذات طبيعة جمالية. أنظر: **عبد الحكيم الذنون**، آفاق غرناطة، ط1، المرجع السابق، ص 32.

2 ـ **عصام الدين فقي**، المرجع السابق، ص 299.

3 ـ **على حسين الشطشاط**، نهاية الوجود العربي في الأندلس، د.ط، دار قباء، 2001، ص 53، 54.

إيزبيلا[1] إزدادت قوة النصارى الإسبان ليكون هذا الإتحاد نذير خطر على بقاء المسلمين في آخر معاقلهم بالأندلس[2]، إذ إعتلت إيزابيلا Izabila عرش قشتالة عام 1474 م، كما إعتلى فرديناند Ferdinand I عرش أراغونة عام 1479 م بل قبل سقوط جبل طارق في عام 1462 م الذي أظهر قوة النصارى بالإضافة إلى الضعف الداخلي الذي كان بغرناطة، ممّا دفع المسلمين إلى خوض صراع مرير ضد المسيحين.[3]

بعد كل الإنتكاسات و سقوط الكثير من المدن و النواحي كطليطلة Toledo و سرقسطة و إشبيلية Sevilla كان الملكين يطمحان إلى توسيع ملكهما، و ذلك بالسيطرة على المزيد من الأراضي التي كانت بيد مملكة غرناطة.

لذلك إبتدأ الإسبان بالإستيلاء على المناطق المحيطة بغرناطة حيث قاموا ببناء معسكر أطلق عليه إسم " بلدة شنتفي، Santafé " أو " الإيمان المقدس".[4]

إبتدئوا من هذا المعسكر بالإغارة على المدينة؛ حيث لم تنفع معهم محاولات سكان المدينة البطولية في در الجيش المهاجم، و قد إستمر الحصار نحو سبعة أشهر و أَلْحقَ بالعرب الكثير من الخسائر و إنقطاع المؤن عنهم، الأمر الذي إضطرهم إلى قبول المفاوضات مع العدو من أجل إيقاف القتال و تسليم المدينة.

أرسل الأمير أبو عبد الله محمد بن علي ملك غرناطة مندوبيه إلى الملك فرديناند Ferdinand I للمفاوضة من أجل الحصول على شروط جيدة نظير تسليم غرناطة، و قد أُبرمت هذه المعاهدة في 21 محرم 847 هـــ، 25 تشرين الثاني 1491م.

---

1 ــ **إيزابيلا:** ملكة قشتالة (1451ــ1504)، تزوجت ملك الأرغون فرديناند(1452ــ 1516) عام 1469.
أنظر: **لصقر عبد الحميد عيسى**، الملكة إيزابيلا الكاثوليكية و دورها في إنقاض الأندلس، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، 1995، ج2، ص 135.

2 ــ **عصام الدين الفقي**، المرجع السابق، ص ص 299، 300.

3 ــ **مونتمغري وات**، في تاريخ إسبانيا الإسلامية، المرجع السابق، ص 159.

4 ــ **شنتفي Santafé:** هي قرية قرب غرناطة تحيط بها سهول واسعة و كذلك مياه متدفقة.أنظر: **عصام الدين فقي**، المرجع السابق، ص 300.

في ثاني ربيع الأول 897 هـ، 1491م إستولوا النصارى على الحمراء و دخلوها بعد أن إستوثقوا من أهل غرناطة بنحو خمسمائة من الأعيان خوفًا من الغدر و كانت الشروط سبعة و ستين منها[1]:

ـ تأمين الصغير و الكبير في النفس و الأهل و المال.

ـ إبقاء الناس في أماكنهم و دورهم و رباعهم و عقارهم، و منها إقامة شريعتهم.

و لا يحكم عليهم أحد إلا بقوانينهم، و أن تبقى المساجد و الأوقاف كما كانت، و أن لا يتدخل الإسبان في دار عربي، و أن لا يغضبوا أحد، و أن لا يدخل إسباني إلى المساجد و لا يمنع مؤذن و لا مصلٍ ولا صائم، و لا غيره من أمور الدين و أنْ يوافقَ على كل الشروط " و يوقعها صاحب روما " أي البابا.[2]

قد تعهد الملكان الكاثوليكيان بتنفيذ شروط هذه المعاهدة جميعها، و ختما بختمهما و سلّما الملكان مدينة الحمراء بصفة رسمية، و أقيم القداس النصراني في الجامع الأعظم الذي حوّل منذ ذلك اليوم إلى كنيسة لتسقط بذلك غرناطة آخر معاقل المسلمين.[3]

لكن كانت هناك إتفاقية سرية عرفت بإتفاقية العار بين ملك غرناطة " أبو عبد الله الصغير"، و الملكين؛ حيث تنص على " التنصير القسري لمسلمين الأندلس" في عهد الملكين الكاثوليكيين.[4]

لذلك كان الملكان يحاولان إغراء السكان لمغادرة غرناطة بتقديم المساعدات لهم في هذا السبيل، فعبر إلى شمال إفريقيا نحو ستة آلاف عربي مع الملك المخلوع و غيرهم من الأُسرْ المسملة، فظلّ البقاء في الأندلس.

---

1 ـ **أحمد المقري**، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1980، ج4، ص 253.

2 ـ **مؤلف مجهول**، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، تحقيق: الفريد البستاني، ط 01، مكتبة الثقافة الدينية، 2002، ص ص41 ـ 45. أيضا: نفح الطيب، ج4، ص ص 525، 526.

3 ـ **طارق السويدان**، الأندلس تاريخ مصور، ط1، دار الإبداع الفكري، أفريل 2005، ص ص 487، 488.

4 ـ **عبد الحكيم ذنون**، آفاق غرناطة، المرجع السابق، ص 53.

عرفت غرناطة بعد سقوطها بضع سنوات من الهدوء النسبي لكنّه لم يستمر سوى سبعة سنوات؛ حيث إبتدأت بعدها السياسة الإسبانية بالتغير إزاء العرب المسلمين المقيمين في غرناطة و بقية المناطق الأخرى، فنقضت بذلك شروط الصلح الواحدة تلو الأخرى و تخلى فرنيناد عن وعوده، و حاول تنصير العرب المسلمين خلافا لما جاء في شروط إستلام المدينة، و قد سبق ذلك شن حملة من الإضطهادات تمثلت بفرض المغارم الثقيلة و منع الآذان.[1]

لكن السياسة الإسبانية كانت تخشى دائما العرب المسلمين المقيمين في البلاد و الذين أطلق عليهم منذ سقوط غرناطة إسم المورسكيين[2] و قد كان لهم دور إقتصادي و زراعي و صناعي مهم في البلاد بالإضافة إلى شهرتهم في مختلف العلوم و الفنون.

كما أسلفنا الذكر لقد كانت شروط تسليم غرناطة 67 شرطا إلتزموا فيها على أنفسهم و دينهم، و أموالهم و أعراضهم، و إحترام مساجدهم و غيرها من الشروط، مجرد عملية تمويه للمسلمين حيف حرفت هذه المعاهدة و أظهرت التعصب الديني الحاقد للإسبانيين، فلم يستمر السلام إلاّ بعد سنوات، ففي تلك الفترة كانت الملكة إيزابيلا Izabila تنتظر أن ينتصر الأندلسيون أو يرحلوا، لكن المسلمين لم تكن لديهم الرغبة في ذلك رغم المحاولات التي قامت بها.[3]

إزداد الوضع سوءا خاصة بعد وصول الكاردينال خمينيث[4] و ذلك بدعوة من الملك فرديناند Ferdinand I سنة 905 هـ، 1492 م، ليكون مسئولا مباشرا عن الجماعات التبشيرية التي تعمل على تنصير أهلها.[5]

---

1 ــ **عبد الواحد طه**، المرجع السابق، ص ص 14،15.

2 ــ **المورسكيين**: هو تصغير لكلمة Mours أي العرب المسلمين الذين تم تنصيرهم، وقد كان لهم أهمية في غرناطة. للمزيد أنظر: **عبد الواحد طه**، المرجع السابق، ص ص 14، 15.

3 ــ **محمد علي قطب**، مذابح و جرائم محاكم التفتيش في الأندلس، د.ط، د.م، د.ت، ص 39.

4 ــ **خمينيث**: هو الكاردينال فرانسيسكو دي سيسنيروس( 1436ــ 1517) المعروف بإسم خيمينيث، ينحدر من أسرة متواضعة، و لكن المؤرخين القشتاليين قربوه من ماضي الملوك، و وصفة البعض بالورع و الزهد.
للمزيد أنظر: **عادل سعيد بشتاوي**، الأندلسيون المواركه، مطابع أنترناشيونال برس، القاهرة، 1983، ص 109.

5 ــ **عبد الواحد طه**، المرجع السابق، ص ص 17، 18.

حاول كبير الأساقفة تنصير المسلمين و إنتهج في ذلك سياسة المعاملة الحسنة، إلاّ أنّ هذه السياسة لم تستمر طويلا فجنحت بذلك الكنيسة إلى سياسة العنف و المطاردة.[1]

بسبب هذا القمع و التسلط قامت عدة ثورات أندلسية، و من أهمها ثورة البيازين في غرناطة عام 904 هـ، 1492م.

قد قامت هذه الثورة عندما إعتدى رجل شرطة و خادم الأب خمينيث على فتاة مسلمة في حي البيازين بغرناطة، فقتل أهل الحي رجل الشرطة، و فرّ الخادم و بعدها سارت جموع الثوار إلى دار خمينيث الواقع قرب قصر الحمراء للقضاء عليه لإعتقادهم أنّ الحادث من تخطيطه، و قد حاولت السلطات الإسبانية تهدئة أهالي حي البيازين بأساليب ماكرة منتظرة الفرصة المواتية لإبادتهم، و بعد إخماد هذه الثورة في عام 1439 قرر ملك غرناطة الإسباني تأسيس محاكم تفتيش،[2] و التي فرضت سياسة شديدة في تنصير المسلمين، و لم يبق أما هؤلاء المورسكيين قرروا اللجوء إلى المعاقل المنيعة في رؤوس الجبال، و من هناك شنّوا الغارات على القوات الإسبانية التي كانت تلاحقهم بإستمرار.[3]

نتيجة قيام ثورة البيازين ثار إخوانهم في منطقة التراث الواقعة جنوبي غرناطة فأرسلت الحكومة الإسبانية حملة عسكرية للقضاء على هذه الثورة بقيادة " الكونت تنديّا " و غيره.

قد أحرقت هذه الحملة القرى و قتلت النساء و الأطفال و الشيوخ، و لقيت هذه الحملة مقاومة عنيفة من المورسكيين الذين دافعوا على حصونهم و إضطهدوا المورسكيين

---

1 ــ **محمد عبد حاتملة**، التنصير القصري للمسلمين في الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكيين ( 1474ــ 1516)، شركة المطابع النموذجية، الأردن، 1980، ص 71.

2 ــ **محاكم التفتيش:** تأسست محاكم التفتيش في إسبانيا منذ القرن الثالث عشر الميلادي، و قد أقيمت محاكم التفتيش أولا في إشبيلية عام 1480م، و كانت سلاحا فتاكا بيد الكنيسة. للمزيد أنظر: **محمد عبد الله عنان**، نهاية الأندلس تاريخ العرب المتنصرين، ط4، مكتبة الخانجي، 1987، ص 323 ــ 329.

3 ــ **مجموعة مؤلفين**، موسوعة الأندلس و المغرب العربي، دار الثقافة، الجزائر، 2009، ج3، ص 410 ــ 412.

إضطهادا لا نظير له، و وُضعوا أمام خيارين، إمّا التنصير القسري أو التهجير خارج إسبانيا.[1]

بعد إخماد ثورة البشرات[2] ثار سكان الجبل الأحمر الموجود غربي رندة، في وجه التسلط الإسباني الذي نقض جيمع العهود و المواثيق، فأرسل الملك الإسباني حملة عسكرية بقيادة دي أجيلان[3]، و لما مرت هذه الحملة عبر الممرات الجبلية إنهارت عليها الصخور و قتل القائد و أصيب إبنه، و لمّا وصلت أخبار إنتصار المورسكيين على الجيش الإسباني قاد الملك الجيش بنفسه، و حاصر الثوار في الجبل الأحمر لفترة طويلة و بسبب الجوع إضطر الثوار للإستسلام.[4]

أخمدت القوات الإسبانية هذه الثورات بوحشية، و لم يبق أمام الثوار سوى الموت أو التنصير القسري، أو الهجرة القسرية خارج البلاد.

في هذه الأثناء أصدر عاهلا إسبانيا مجموعة من المراسيم المتتابعة زمنيا التي تقضي كلها بإضطهاد المسلمين، نذكر مختصرا عنها:

ــ في يوم الثلاثاء 20 يوليو 1501، 04 محرم 907 هــ صدر أمر بمنع وجود المسلمين في مملكة غرناطة، و قد إختارهما ــ الملكين ــ الله لتطهيرهما من ( الكفرة ) !!!
و إنّه يحظر على المسلمين الإتصال بغيرهم خشية أن يتأخر تنصيرهم، و كذلك يحظر عليهم الإتصال بمن تنصّروا لئلا يفسد عليهم إيمانهم، و كل من يخالف هذه الأوامر يقتل و تصادر أملاكه!!!.[5]

---

1 ــ **محمد عبده حاتلمة**، المرجع السابق، ص 83.

2 ــ **ثورة البشرات:** بالإسبانية تعني Guerrades la Alujarras و تسمى ثورة المورسكيين، و هي ثورة قام بها مسلمو غرناطة الذين أجبروا على التنصر بعد سقوط غرناطة ضم مملكة قشتالة. للمزيد أنظر:

-. Kaplan Benjamin J, Religieuse Confilit de la Practice par Tolérassions en Arly Moderne Europe, Harvard Université Presse, 2007, PP 310, 311.

3 ــ **دي أجيلان:** هو قائد إسباني ترأس الحملة العسكرية التي كانت موجه إلى ثوار الجبل الأحمر، حيث قتل فيها نتيجة لصعوبة التضاريس هناك. للمزيد أنظر: **محمد عبده حاتملة**، المرجع السابق، ص 84.

4 ــ عادل **سعيد بشتاوي**، الأندلسيون المواركة، المرجع السابق، ص ص 98، 99.

5 ــ **محمد علي قطب**، المرجع السابق، ص 45.

ــ و في يوم الثلاثاء 12 فبراير 1503 م، 13 رمضان 908 هــ صدر أمر ملكي آخر يحتم على كل مسلم حر يبلغ الرابعة عشر من عمره إن كان ذكر و الثانية عشر من عمرها إذا كانت أنثى أن يغادر مملكة غرناطة قبل أول شهر ماي التالي، على أن لا يكون الخروج إلى إفريقيا بل إلى بلاد أخرى لأنّها كانت معها في حروب، و كل من يخالف الأوامر يقتل أو تصادر أملاكه.[1]

**المحاكم و ديوان التفتيش:**

يذكر أنّ أوّل إجتماع حول إنشاء محاكم التفتيش كان في مدينة طلوشة ( تولوز) الفرنسية سنة 1329 م، 729 هــ لأول مرة أيام البابا غريغوروس التاسع لتقرير إنشاء محكمة يقدم إليها كل من إتهم في عقيدته ( الكاثوليكية)، لكن البابا لم يقرر إنشاء الديوان حتى سنة 1333 م، 734 هــ، فصدرت الأوامر إلى كل الكنائس الكاثوليكية بتعيين كاهن خاص للبحث عمّن يسمونهم بالملحدين[2] في مسيحتهم الكاثوليكية، و يتهمونهم بالزندقة.[3]

كان يطلق على تلك المحكمة الخاصة البابوية " الديوان المقدس" أو " التفتيش المقدس"، كما كان يستعين البابا بجواسيس لمعونته، و لم يكن يعرف أولئك الجواسيس، بل أخفيت أسماؤهم عن الناس، و وعدوا بغفران خطاياهم، كما أحلّ لهم إرتكاب الجرائم...، و قد ظلّ ديوان التفتيش يعمل بفرنسا، مرة جهرًا و مرة في الخفاء حتى قيام الثورة الفرنسية فتقرر إلغاؤه، و إنتقم الشعب من رجاله، و هرب بعضهم إلى إسبانيا و البرتغال لينضموا إلى رفقائهم هناك.[4]

1 ــ **علي مظهر**، محاكم التفتيش في إسبانيا و البرتغال و غيرها، د.ط، المكتبة العلمية، مصر، 1947، ص 26.

2 ــ **الملحدين:** و يقصد بهم اليهود، و البروتستانيين، و جماعة المفكرين الأحرار و المسلمين، الذين كانوا في أوروبا، و الملحدين هنا أي الخارجين عن الدين المسيحي الكاثوليكي. للمزيد أنظر: **محمد علي قطب**، المرجع السابق، ص 75.

3 ــ نفسه، ص ص 75، 76.

4 ــ **علي مظهر**، المرجع السابق، ص ص 51، 52.

رغم أنّ تلك المحاكم و ذلك الديوان كان معروفا في فرنسا و إيطاليا، إلاّ أنها لم تعمل بها مثل ما عملت بإسبانيا و البرتغال، و لم تمارس الأعمال البربرية و الوحشية مثل ما مورست بجزيرة إيبريا.[1]

قد كان إكراه أهالي غرناطة على التنصير ذريعة قصد منها تبرير إقامة فرع لديوان مجمع قضاة الإيمان الكاثوليكي فيها، أو ما يعرف بمحاكم التحقيق و التفتيش L'inquisition سنة 905 هـ، 1499م، حيث أصبح بإمكان هذه المحاكم أن تمارس عملها و تحقق مع من تشك في صحة إعتناقه للدين الجديد، و كان هذا الفرع تابعا لديوان أو محكمة التحقيق...[2]

ترجع فكرة تطبيق هذه المحاكم إلى القرن الثالث عشر الميلادي، و ذلك لتلبية حاجات الكنيسة الكاثوليكية في حماية نفسها من الديانات الأخرى في كثير من الدول الأوروبية آنذاك، و قد دخلت هذه المحاكم إلى معظم مناطق إسبانيا، لاسيما أراغونة و قشتالة، و قطلونية و بلنسيّة Valencin[3]، و إشبيلية Sevilla و غيرها، و أصبحت مهمتها مطاردة بقايا العرب و محاكمتهم و تعذيبهم، و إكراههم على الإدلاء بإعترافات تثبت إعتناقهم للديانة الإسلامية، و إحتفاظهم بلغتهم العربية، و التحدث بها أو قراءتها.[4]

بعد إعتراف المتهم، يحكم عليه بالإعدام حرقا بعد إدانته " بالكفر الصريح" أو بالسجن المؤبد و المصادرة، أو بالأعمال الشاقة في السفن، و غيرها من الأحكام التعسفية الأخرى.

غدت هذه المحاكم أداة بيد رجال الكنيسة المتعصبين لتحقيق غايتهم في القضاء النهائي على بقايا الأمة العربية في شبه الجزيرة الأيبيرية، و كانت هذه المحاكم تضطلع

---

1 ــ نفسه، ص 52.

2 ــ **محمد عنان**، نهاية الأندلس تاريخ العرب المتنصرين، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2004 ، ص 311.

3 ــ **بلنسية:** مدينة شهيرة تقع شرقي مدينتي تدمير و قرطبة، و هي مدينة برية و بحرية ذات أشجار و أنهار و تعرف بإسم مدينة التراب.

4 ــ **عبد الواحد طه**، المرجع السابق، ص 25.

بمهمة مزدوجة دينية و سياسية معا، فكانت تعمل بإسم الدين لتحقيق أغراض السياسة الإسبانية آنذاك، و التي كانت تهدف بعد إخضاع عرب الأندلس للقضاء عليهم، و على لغتهم و خواصهم الإجتماعية عن طريق القمع و التعذيب، و الإحراق.[1]

حتى أنّه يذكر بعض عارفي إسبانيا، أنّه يوجد إلى يومنا هذا في عدة مدن بإسبانيا أبنية قديمة غريبة في هندستها و شكلها، كأنّها مجموعة من قصور و أديرة، و سجون [2] معا، فجدرانها ضخمة و نوافذها قد إعترضها حديد ضخم غليظ قد تصدأ.

يتولى الرعب و الخوف كل من يمرُّ أمامها لمجرّد تصوره أنّه سيدخلها يوما ما.[3]

## الطرد النهائي للمسلمين الأندلسيين

لكن رغم هذا الإضطهاد واصل الأندلسيون ممارسة شعائرهم الدينية، إستنادا إلى فتاوى بعض الفقهاء، بالإضافة إلى آخرون ألزموهم بضرورة الهجرة، و مغادرة إسبانيا إلى حيث يمكنهم ممارسة شعائرهم الدينية دون خوف، لكن هؤلاء الفقهاء لم يقدّروا ظروف الأندلسيين، و صعوبة الهجرة بالنسبة لكثير منهم، لما تتطلبه من مال و جهد و مشقة، و مخاطر فكان لهذه الفتاوى أسوء الأثر على مصير الجماعات الأندلسية الباقية في الأندلس، و قد إضطرت هذه الجماعات الباقية إلى الإلتجاء إلى " التقية" [4]، التي إتخذوها و كأنّها أملهم الوحيد للنجاة، و يذكر أحد الأندلسيين و هو مؤلف مخطوط رقم 9653 المحفوظ في المكتبة الوطنية بمدريد قائلا: « **إضطهدوا أمتنا الأندلسية بالسجون**

1 ــ **عبد الواحد طه**، المرجع السابق، ص ص 25، 26.

2 ــ أنظر الملحق رقم: عبارة عن صور للسجون الإسبانية

3 ــ **علي مظهر**، المرجع السابق، ص ص 53، 54.

4 ــ **التقية:** و هي أسلوب الكتمان، و الإحتياط إتبعه الأندلسيون في ممارسة شعائرهم الدينية إستنادًا إلى فتاوي بعض الفقهاء، و ذلك لتمويه الأعداء خشية إنكشاف أمرهم.

**و بالتعذيب و القتل، و مع كل هذا فإنّ أتباعنا قد حافظوا بشدة على عقيدتهم الصادقة و تظاهروا بإتّباع عقيدة أخرى في حين أنّ قلوبهم تؤمن بشيء آخر...».**[1]

بسبب تثبت المسلمين بعقيدتهم و قوميتهم، و أرضهم التي شهدت مجدهم، إتجه تفكير السلطات الإسبانية منذ أواخر القرن 16 م، 10 هـ إلى التخلص نهائيا من جميع الأندلسيين، و ذلك بنفيهم خارج البلاد فضلا عن عملية النفي الداخلية التي طبقت في عهد فيليب الثاني[2] على عرب منطقة غرناطة، لذلك أصدر قرار يتضمن الإبعاد النهائي لعرب الأندلس و ضرب الوجود العربي الأخير في إسبانيا، فصدر مرسوم النفي المتعلق بعرب بلنسي في أيلول 1609 م، محرم 1018 هـ ثمّ تلته مراسيم أخرى عام 1019هـ، 1610 م تتعلق بعرب مرسيه، و غرناطة و قرطبة Cordoba و إشبيلية Sevilla، و أراغونة ثم تتابعت المراسيم الأخرى في الأعوام اللاحقة حتى سنة 1023 هـ، 1614 م.

إستقر رأي الملك على نفيهم جميعا إلى المغرب، و بضرورة رحيلهم مع أولادهم خلال ثلاثة أيام من نشر هذا القرار، و أن يحملوا من الأثاث و الأمتعة ما يستطيعون حمله، ليركبوا في السفن التي أعدت لهم، و من يرفض ذلك يتعرض للنهب و القتل، و قد نصّ القرار على[3]:

إستبقاء 06% فقط من العرب للإنتفاع بهم في العمل بمعاصر السكر، و حقول الرز و الري و ليعلّموا السكان الجدد، و يتم الإختيار من قبل السادة، و يسمح للأطفال بالبقاء على أن لا يزيد عمرهم عن أربع سنوات.

---

1 ــ **عبد الواحد طه**، المرجع السابق، ص ص 73، 74.

2 ــ **فيليب الثاني:** تولى الحكم بعد تنازل والده الإمبراطور شارل الخامس على العرش ( 963هـ، 1006م) (1556هـ، 1558م). للمزيد أنظر: **سعيد بشتاوي**، المرجع السابق، ص 314.

3 ــ **عبد الواحد طه**، المرجع السابق، ص ص 77، 78.

نفذت عمليات النفي في كل مكان بكل صرامة و وحشية، و إستمرت السفن و طوابير المهجّرين لأعوام تزيد عن الستة و قد عانى العرب المهجّرين الكثير من المتاعب، كما توفي الكثير منهم نتيجة حرارة الصيف الشديدة، و قد إتسمت رحلتهم باللإنسانية، و هي من أكثر القصص المؤلمة في التاريخ..[1]

قد ذهبت غالبية المبعدين و سكنوا بفاس، الرباط، تطوان و سلا، وهران[2] و تونس، تلمسان، الجزائر ... و غيرها من المناطق، و هناك خلاف بين المؤرخين من حيث عدد المهجّرين حيث يذكر لين بول أنّ عددهم سنة 1019 هـ، 1610 م بلغ نحو مليون شخص، أمّا المجموع الكلي منذ سقوط غرناطة إلى العقد الأول من القرن 17م فكان نحو ثلاثة ملايين عربي.[3]

على الرغم من ضعف الدولة الأندلسية، فإنّ الشعب إستطاع أن يحقق منجزات حضارية و فنية بالغة الأهمية مثل مسجد قرطبة الجامع، و قصور إشبيلية Sevilla وغرناطة، كما أنّه كان لها فضل كبير على شمال إفريقيا عامة و المغرب بشكل خاص.[4]

1 ــ **عبد الواحد طه**، المرجع السابق ، ص 80.

2 ــ **وهران:** هي مدينة غرب الجزائر، و هي أكبر مدن الجزائر بعد العاصمة، سميت بوهران و هي مثنى اللفظة العربية ( وهر)، و تعني الأسد، عرفت قبلها بإسم إيفري و تعني الكهف.

3 ــ **محمد عبده حاتلمة**، التهجير القسري للمورسكيين خارج شبه جزيرة إيبيريا في عهد الملك فيليب الثالث، مجلة دراسات، م 10، العدد 01، الجامعة الأردنية عمان، 1983، ص ص 121، 122.

4 ــ **محمد عبده حاتلمة**، المرجع السابق، ص 123.

من الملاحظ أنّ سقوط غرناطة في يد النصارى لم يكن حادثًا فجائيا، بل جاء نتيجة لحصاد سنوات من الكيد الصليبي المنظم أمام التخاذل و الغفلة من جانب الحكام المسلمين في الأندلس.

حيث طبقت السلطات الإسبانية قوانين تعسفية في حق المسلمين، و أجبرتهم على ترك دينهم، و منعتهم من ممارسة أبسط حقوقهم؛ كإصدار قرار منع الإستحمام، و عدم إرتداء النساء للحجاب.

ليس هذا فحسب بل تعدّته إلى إصدار قرار الطرد النهائي للمسلمين، الذي ضيقت الخناق على المسلمين جعلتهم يهاجرون هجرة إضطرارية نحو بلاد المغرب العربي حاملين معهم مقوماتهم الدينية و علومهم و خبراتهم المهنية المختلفة للعمل في عز الإسلام و المسلمين.

من أهم الهجرات هي تلك التي وقعت بعد سقوط غرناطة نحو بلاد المغرب الأوسط، فكان أمام الجزائرين نصرة و حماية إخوانهم المضطهدين من الإسبان، خاصة و أنّ الجزائر كانت أوّل قاعدة لأعمال الجهاد ضدّ الإسبان.